مسامرة نيل الأرب في أدب العرب للعلامة الحاج أحمد سكيرج

تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أيها السادة المحترمون :
إني أقدم بين يدي خطابي معذرة لحضرتكم فيما خطا بي قدمي في هذا البساط الذي سيبسط بين يديكم في هذا المقام، لا على أني ذلك الخطيب الذي يستحق أن يخطب في مجمع حضر فيه أمثالكم، ولكن إجابة مني لسيادة مندوب الصدارة في المعارف، المبجل العلامة سيدي محمد الحجوي(1)، الذي أكد علي باقتراحه في إلقاء كلمة في هذا النادي الأرفع، موضوعها : أدب العرب والإشارة إلى تقلب أطواره في التقدم والتأخر من عهد العرب إلى الزمن الحاضر.

وهذا الموضوع له أهمية كبرى في فتح أعين أبناء الوقت لمشاهدة مآثر العرب، في أشعارهم التي تشهد لهم بالتقدم في المعارف زمن الجاهلية، وقد تنافس الأجانب في إدراك تلك العلوم المستنبطة من كلامهم نظما ونثرا، مع العلوم التي كانوا عارفين بها، فأضافوا ذلك إلى معلوماتهم، ونحن في غفلة عن ذلك، ولا نحتفل بما هنالك.

غير أنه لما كان التاريخ كما قيل يعيد نفسه، فلا بدع إذا انتهض في هذه الإيالة الشريفة لإحياء تلك المعارف والتحصيل عليها بكمال الإعتناء بأبناء الوقت الحاضر الذين هم أبناء المستقبل، بما تبثه في صدورهم الأساتذة الذين انتخبتهم رجال الدولة بتعليمهم في المدارس التي شيدت تحت ظل عرش الحضرة اليوسفية أدام الله عزها، مع مد ساعد المساعدة في ذلك بالأخذ بيد النهضة العلمية، بالنسج على الطراز الجديد الذي يرجى به التقدم للتلامذة إلى تحصيل ما ينفعهم في العاجل والآجل، من غير تضييع جل الأوقات في لا طائل، أو تحصيل بعض المسائل هي بالنسبة لما صرف فيها من ثمين العمر ما يتعجب منه العاقل، فإن تنظيم طرق التعليم قاضية بنجاح المتعلم في أقرب وقت لما أودعه الحق تعالى في قابلية الإنسان من قبوله للتعليم، بعد أن أوجده من العدم ذا جهل بسيط.

---

(1) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي أصلا الفاسي دارا ومنشأ، ولد بفاس عام 1291هـ فحفظ القرآن الكريم على الشيخين الجليلين سيدي محمد بن عمر بن سودة، وسيدي محمد بن الفقيه الورياجلي، ثم اشتغل بطلب العلم بالقرويين منذ عام 1307هـ،، ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي عبد ا لسلام الهواري، والعلامة سيدي أحمد بن الجيلاني الفيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي وغيرهم، وبعد تخرجه زاول التدريس بجامعة القرويين، ثم بعد ذلك أسندت إليه سفارة المغرب بالجزائر على مدى سنتين ابتداء من عام 1321هـ، ثم عين وزيرا للعدل، وبعدها وزيرا للمعارف الإسلامية في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت وفاته بالرباط سنة 1376هـ-1956م، ونقل لفاس حيث دفن ببعض مساجدها، وله رحمه ا تآليف كثيرة منها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، والبرهان في الفرق بين الألوهية والنبوة، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، والصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية، وإتحاف الزائر بمشاهدة أرض الجزائر، والرحلة الأوروبية فيما شاهدته بأراضي فرنسا وأنكلترا من التقدمات العصرية، ومستقبل تجارة المغرب، والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96. وفي العز والصولة لعبد الرحمان بن زيدان ج 2 ص 53. وفي مقدمة كتابه الفكر السامي ج 1 ص 9-23.

ولا يعزب عن علم جل الجلة أن الله تعالى خلق الإنسان ذلك الجسم الصغير المنطوي فيه سر العالم الكبير، ذلك البشر الذي خلق في أقوم الصور وأحسن تقويم، فأنار سبحانه هيكله الجثماني بنور العقل، وكمل محاسنه بما ألهمه من حسن الأدب الذي هو عنوان على الفضل، وبه يرتقي كل فرد من النوع الإنساني في مراقي التبجيل، على قدر ما لديه من تلك المحاسن التي كملت بالأدب والعقل، وبدونهما ينحط من أعلى الرتب إلى أسفل، وقد قيل :

ما وهب الله لامرئ هبة — أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن فقدا — ففقده للحياة ألــيـــق بـــه

فأما العقل فهو يقود صاحبه إلى ما يراه حسنا، فلا يسلك من الطرق إلا ما يرى فيه سلامته، حسب نظره بقدر ما منح من قوة النور وضعفه، حتى يحصل على ما قدر له بالسابقة من سعادة أو شقاوة.

وأما الأدب فهو بحسب الوهب بإرث كان أو بكسب اسم جامع للمحاسن الدنيوية والدينية، ويطلق بإزاء معان، فيطلق على الاتصاف بمكارم الأخلاق، وكل ما يرجع إلى الكمال البشري بتهذيب نفساني، أو تأديب رباني، وللنبي الأمي سيدنا ومولانا محمد عليه السلام كمال الظهور في هذا المظهر، حتى قال فيما ورد عنه عليه السلام "أدبني ربي فأحسن تأديبي"(2) ولمن اقتدى به الحظ الأوفر من هذا الأدب، ويطلق أيضا على حسن المعاشرة وجميل المخالطة بصدق ووفاء، مع اجتناب ما ينفر النفوس في الشدة والرخاء، مع مداراة تامة عند الإحتياج إليها في جبر الخواطر بتحمل الأذى ونحو ذلك، وهو بهذا الإطلاق قد يكون مندرجا فيما قبله، ويطلق أيضا على نهوض النفس إلى إحراز الفضائل، باجتناب الرذائل، والحصول على المحامد التي يغبط الشخص فيها، من علوم ومعارف يحق بها الفخر بنفسه وإن لم يفتخر، ومن كمال أدبه عدم الإفتخار، ولقد أجاد من قال فيه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا — يغنيك محموده عن النــســب
إن الفتى من يقول هــا أنــا ذا — ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال آخر :

مالي عقلي وهمتي حسبي — ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحـــد — فإنني منتم إلـــــى أدبـــي

---

(2) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير وعزاه فيه لابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود. ج 1 ص 14.

ويطلق بإزاء معان أخرى، أخص بالذكر منها علوم الأدب التي هي علوم العرب المجموعة في قول الشيخ حسن العطار(3) :

نحو وصرف عروض بعده لغة ثم اشتقاق قريض الشعر إنشاء
كذا المعاني بيان الخط قافيـــــة تاريخ هذا لعلم العرب إحصاء

وبعضهم زاد فيها ونقص منها بحسب ما ظهر له فقال :

لغة وصرف واشتقاق نحوها علم المعاني والبيان بديع
وعروض قافية وإنشاء نظمها بكتابة التاريخ ليس يضيع

ولكل علم من هذه العلوم حد محدود وقواعد يرجع في تحقيقه إليها، ومن حصل عليها فقد حصل على علم الأدب في الإصطلاح العرفي، على أن جل هذه العلوم العربية في نظر الأدباء مستنبط من كلام العرب نظما ونثرا، ولم يكن للعرب إلمام بتلك القواعد المضبوطة بالإستنباط، وإنما ذلك من أحوال كلامهم السليقي الذي جبلوا عليه، بحيث لا يمكنهم أن ينطقوا بغيره سهوا، وربما لا يساعدهم النطق بتعمد الخطأ فيه، وبمثل هذا استدل سيبويه على الكسائي(4) في المناظرة التي وقعت بينهما، حين زعم الكسائي أن العرب تقول "كنت أظن الزنبور أشد لسعا من العقرب فإذا هو إياها" فقال سيبويه ليس المثل كذلك "بل فإذا هو هي" واتفقا بحضرة الأمين بن هارون الرشيد على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام أهل الحضر، فحضر عربي طبق الإتفاق، وعرضت عليه المسألة، فوافق الكسائي بإيعاز من الأمين، لكونه شيخه، فقال سيبويه مره لينطق بذلك فإن لسانه لا يساعده، فلم يفعل الأمين مع أن الحق مع سيبويه، ولاشك أن النطق يعسر عند التلفظ بما لم يكن الناطق معتادا له، إلا عن تعمد، ومع التعمد قد لا يساعد على ذلك، ومثاله في النطق بالهمزة بدل الكاف أو القاف، فمن لا يحسن التلفظ بهما فلابد أن يقول مثلا في القط الإط بالهمزة، وفي القلب والكلب الألب، ونحو ذلك إلا بعد ممارسة، فكذلك العرب في نطقهم فلا يخرجون عنه إلا بعد مخالطة الغير بمخاطبتهم مدة، ومع ذلك فلا يحتاجون في ذلك إلى مراعاة القواعد التي استنبطت من كلامهم، إلا في حق من داخلته العجمة فتعلم بعد ذلك تلك القواعد، فيعد نحويا لا عربيا سليقيا،

---

(3) حسن بن محمد بن محمود العطار، فقيه، أديب، فلكي، أصله من المغرب، ولد بالقاهرة عام 1190هـ، وبها توفي عام 1250هـ، وكان أبوه عطارا، فتبع أباه في تجارته أول الأمر، ثم انصرف إلى الأدب والعلم، تولى إنشاء جريدة الوقائع المصرية في بدء صدورها، ثم عين شيخا لعلماء الأزهر خلال الأربع سنوات الأخيرة من عمره، ومن مصنفاته : رسالة في كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط، وديوان شعر، وتآليف في فن الإنشاء والمراسلات، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 38، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 220، وخصصه الشاعر محمد عبد الغني حسن بتأليف سماه : حسن العطار.

(4) علي بن حمزة بن عبد ا الأسدي الكوفي الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، وهو أحد القراء السبعة المعتمدين في القراءة، قيل له الكسائي لأنه أحرم في كساء، من مصنفاته : القراءات، والحروف، والمصادر، ومعاني القرآن، والنوادر، ومختصر في النحو، والمتشابه في القرآن، وما يلحن فيه العوام، توفي رحمه ا (برنبوية) قرية من قرى الري لما كان متوجها لبلاد خرسان صحبة الخليفة هارون الرشيد عام 189هـ. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 330، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج1 ص 535، وفي نزهة الألباء للأنباري ص 81-94، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 11 ص 403، وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 138، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 2 ص 256، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 283 وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 391 رقم الترجمة 128.

ولذلك افتخر أبو الأسود الدؤلي(5) بلهجته فقال :

ولست بنحوي يلوك لسانه   ولكن سليقي أقول فأعرب

لأن السليقة حاكمة بانطباعها في الطباع، فلا خروج لكل قبيل عن لهجته إلا بعد الممازجة والممارسة، فيدخل بذلك في طور آخر كما هو المعتاد في القبائل والمدن في اللغة الدارجة، فإن اللهجة مختلفة يشعر بذلك كل واحد عند نطق مخاطبه، فيستدل بذلك على قبيلته التي نشأ فيها، فالألفاظ في نفسها تدل على جنسية اللافظ بها، ولهذا سهل تدوين اللغة العربية على من رامه من غير أهل تلك اللغة بتلقيها عن أهلها، فكان بذلك لمؤلفيها من علماء العجم والفرس وغيرهم اليد البيضاء في تدوين اللغة العربية، وقل من فرق بين ألفاظ القبائل، لصعوبة ذلك عليهم، وسهولته على العربي لما لديه من الملكة في لغته، بالتفرقة بين اللغات المختلفة، وجزمه القاطع بتعداد الألفاظ الدخيلة من لغات الأجانب في لغته لحنا وإعرابا، مع مراعاة الحقيقي والمجازي وضعا.

ولهذا لما تحقق أبو الأسود الدؤلي بلحن ابنته حين قالت في التعجب "ما أشد الحر" بصيغة الإستفهام، وأجابها على مقتضى استفهامها بقوله "الرمضاء وقت الهاجرة" فقالت لست أستفهمك وإنما أنا أتعجب من شدة الحر، قال لها "قولي ما أشد الحر وافتحي فاك" وجاء إلى الخليفة سيدنا علي كرم الله وجهه وأخبره بقصته مع ابنته وهو في تحسر كبير بمداخلة العجمة في كلام العرب، وطلب منه أن ينظر فيما يحوط به هذه اللغة، فقال له "الكلم اسم وفعل وحرف وانح على هذا النحو" فسمي بذلك النحو نحوا. وزيد في أبوابه بتتبع أحوال الكلام، ومراعاة حال الدخيل في اللغة مع الأصيل، حتى صار مضبوطا بقواعده التي لا يمكن مع مراعاتها اللحن، وهكذا وقع استنباط قواعد غير النحو من العلوم المتقدمة من تصريف واشتقاق مع باقيها، فإن العرب لم يتعلموا فيها قواعد، وإنما ذلك فيهم خلق طبيعي طبق ما أشرنا إليه، إلا ما كان من علم الخط وعلم التاريخ فهما من العلوم التي تقررت بالتعلم، مثل العلوم التي كان لهم بها اعتناء وأشاروا في أشعارهم إليها، ولم يظهر علم الكتابة بين خواص العرب إلا عن أمد غير بعيد قبل ظهور سيد الأميين عليه السلام.

علم العروض

وقد اختلف الباحثون عن أسرار هذه اللغة، في كون علم العروض هل هو من علومهم التي تعلمها من نبغ منهم في الشعر أو هو علم مغروز في سجاياهم، فعلى أنه من علومهم التي

---

(5) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، المعروف بأبي الأسود الدؤلي، واضع علم النحو، ولاه الإمام علي كرم ا وجهه على البصرة، وبها توفي عام 69هـ، وهو أول من عمل على تنقيط المصحف الكريم، لتسهيل قراءته على عامة الناس، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني رقم الترجمة 4322، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 240، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 1 ص 314، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 237، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 389 رقم الترجمة 124.

تعلموا قواعدها فلا دخل للخليل بن أحمد(6) في استنباط قواعد هذا العلم، لأن غيره هو الواضع له، ويستدل لهذا القول ما يحكى عنه أنه رأى شيخا كبير السن يقول لصبي قل :

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم   نعم لا نعم لا لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم

فوقف ينظر إليه ولم يفهم المقصود من ذلك، فقال ما تقول أيها الشيخ لهذا الصبي، فقال أعلمه قرض الشعر، فنحا الخليل منحاه، وسمي الفن بالعروض لكونه عرض له في طريق مكة، وهي تسمى "العروض"، وقيل هو الواضع له فأبرز الموازين على وفق ما وفق له بتتبع أوزان الشعر العربي وترتيب دوائر تفعيل أبحره، وقد حكي عنه أنه كان يوما منكبا على دائرة يحاول فك أجزائها ويقطع التفعيل تقطيعا، فنظر إليه ولده من خلال باب المحل الذي هو به، فنادى قومه وقال : إن الخليل قد جن فأتوه، فلما فرغ حول وجهه إليه وأنشد :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني   أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتنــــي   وعلمت أنك جاهل فعذرتـــك

وقد حصر الخليل أوزان شعر العرب في خمس دوائر، اشتملت على خمسة عشر بحرا، سمي كل بحر منها باسم خاص بحسب المناسبة، ورد لكل بحر ما يناسبه من تلك الأوزان، فأحدث له أعاريض وأضربا بمراعاة علل وزحاف يرجع إليه بحكم الذوق في القبح والحسن، فما وافق ذلك من تلك الأوزان كان شعرا مستعملا عند العرب. وما كان من تلك الدوائر مهملا عنده فإن العرب لم تستعمله فلا يسمى شعرا، وقد استدرك فيها عليه الأخفش(7) الأوسط تلميذ سيبويه (8) وزنا مستعملا منها عند العرب، واستشهد له بقولهم :

لم يدع من مضى للذي قد غبر   فضل علم سوى أخذه بالأثر

---

(6) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، واضع علم العروض، أخذه من الموسيقى، وكان عارفا بها، ولد بالبصرة عام 100هـ، وبها توفي عام 170هـ، من مصنفاته : كتاب العين، في علم اللغة، في 2500 صفحة، ومعاني الحروف، وكتاب العروض، وتفسير حروف اللغة، والنقط والشكل، وجملة آلات العرب، والنغم، وغير ذلك من الكتب الأخرى.
أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 172، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 1 ص 341، وفي الآعلام للزركلي ج 2 ص 314، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 390 رقم الترجمة 126.

(7) سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي مشهور،، عالم باللغة والأدب، وهو الذي زاد في علم العروض بحر الخبب، ويسمى كذلك بالمتدارك، لأنه أدركه على الخليل بن أحمد، ومن مصنفاته : تفسير معاني القرآن، وشرح أبيات المعاني، وكتاب الملوك، والإشتقاق، ومعاني الشعر، والقوافي، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 215هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 208، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 258، وفي إنباه الرواة للقفطي ج 2 ص 36، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 101.

(8) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، ولد بإحدى قرى شيراز عام 148هـ، وتوفي شابا عام 180هـ، من مصنفاته : كتاب سيبويه، في علم النحو، وهو تصنيف لم يصنع قبله ولا بعده مثله، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 385، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 176، وفي تاريخ بغداد للخطيب ج 12 ص 195، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 81.

وسماه "متداركا" وهذه الأبحر لم تعرفها العرب بأسمائها وأعاريضها وأضربها وزحافاتها وعللها ونحو ذلك، وإنما الأوزان في نطقهم خرجت على وفق ذوقهم، فكان بذلك علم العروض والقوافي وعلم القرض من العلوم المستنبطة من كلامهم، كما استنبط من كلامهم عمل الإنشاء، ثم إن الشعر العربي بعدما أخذ حظه من الشهرة أيام العرب بعقد المحافل بسببه للشعراء والتنويه بشأنهم، انكب على قرضه منهم كل من له داعية من دهاء وذكاء في السراء والضراء ونحو ذلك، حتى كان الشاعر منهم يقصد لسماع شعره من الأماكن البعيدة، ويعقد له بذلك اللواء، ويشد هو الرحلة أيضا إلى أسواقهم العامة والخاصة، وينشد ما جادت به قريحته، فيروى عنه ويطير صيته للآفاق.

ومن عظيم تنويههم بالشعر أنهم اختاروا منه ما علقوه على جدران الكعبة داخلا وخارجا، حتى جاء الإسلام فأثر في الشعر نوع فتور، فصارت همم الموفقين مصروفة لتلقي حديث الرسول وحفظ الآيات القرآنية، وصار ذكره في المجامع والمحافل بدلا عن الشعر، حتى تقرر الدين وضبط جل ما روي من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ورد من سننه ضبطا محكما، وطار صيت الإسلام للآفاق.

ثم صرفت الهمم لجمع بقية الشعر الباقية، وصارت النفوس تميل لحفظه للإستشهاد به في المستنبطات، لموافقة كلام العرب الذي جاء به القرآن الكريم، سيما واللغة قد كاد أن يعتريها الفساد بدخول السواد الأعظم من أهل اللغة الأعجمية في الإسلام، بممازجة المستوطنين بجزيرة العرب والفاتحين للبلاد البعيدة، وكبر شأن حافظيه وقارضيه في نظر الخاصة والعامة، فصار للشعر والشعراء نهضة بعد نهضة، حتى بلغ الشأو الذي لا يلحقه غيره في حومة الأدب، حتى كاد أن لا يسمى غير الشاعر بالأديب، وحاز حظا وافرا من الإعتناء به والتنويه به بين طبقات الأعيان من الأمراء والعلماء، وتقلد كل ذي أريحية منهم بقلادة إنشائه وإنشاده، مع التفنن فيه بطلاوة حسن الحضارة والتمدن، مع مراعاة تلك القواعد التي ألحقت نظم الأدباء بشعر العرب.

ويقبح كل القبح بين العارفين به تداخل من لا يحسنه معهم، ويسقط من بين أعينهم من لا ينطق بالشعر بوزنه، سيما عند التلحين به، واستشهاد من لا يعرف إتقان نطقه به، فصار بعد ذلك من نقص النحوي أن يفوته الإلمام بقرض الشعر والعروض، كما صار من نقص قارض الشعر عدم معرفته للنحو وقواعده.

ثم لما تفنن الشعراء في قرض الشعر وكبر شأن الأدباء عند أولي الأمر، تشوفت نفوس المولدين وفحول الأدباء إلى اختراع أوزان تناسب الذوق في آلة الطرب والتطريب بالسماع، فنظموا في أوزان الأبحر المهملة في نفس تلك الدوائر الخمس التي رد إليها الخليل أعاريض البحور المستنبط تفعليها، فلم يوافق النظم عليها الغرض تماما، ولم تزل تحركهم داعية إبداع ما يحرك الساكن من لذيذ الأوزان، خصوصا عندما نهضت نهضة الأدب، وظهرت بمظهر لم تظهر به من قبل، لوجود الرفاهية بالأندلس والعراق ونحوهما.

الفنون السبعة

فاستنبطوا بعض الفنون من الكلام الموزون في هذا الغرض المناسب لذوقهم، عندما لذ في أعينهم مزج بعض أضرب الأبحر مع أضرب أخرى، مع مراعاة الوزن وقواعد اللغة العربية، واتسع المجال في ذلك بتداخل اللحانين في النظم، فناسب أن يزاد في منطقة المخترعات، فتم بذلك استنباط موازين الفنون السبعة التي هي : الدويت، والموشح، والسلسلة، والموال، والقوما، وكان وكان، والزجل، ولكل من ذلك ضوابط لابد من مراعاتها في الوزن والنطق لحنا وتلحينا.

وقد اتسع نطاق نظم الأزجال لكونها لا يحتاج فيها إلى مراعاة قواعد النحو، بل اللحن فيها مما يواتيها، وعليه تتبني، وهي المعبر عنها بالموزون في لسان العوام، وبالملحون أيضا، وبالعلم الموهوب، ويسمى ناظمها شيخا، ولا يسمى شاعرا إلا من نظم الكلام في قوالب الوزن العربي، وكثيرا ما تلوح على جبين أشياخ الكلام الملحون والموزون أمارات التروحن مع الإنقباض عن الناس، والإنزواء عنهم حين تدعوه السجية إلى إنشاء ما فاضت به في الموضوع الذي هاجت فيه، ولربما سهر الليالي في مطاوعته السانح الذي يسنح له، كما يقع ذلك أيضا لجل الشعراء، ولذلك قيل بأن لكل شاعر جنيا يملي على لسانه ما يقوله من الشعر، وربما اجتمع الشاعر بقرينه الجني، وأشعارهم مصرحة بهذا، فقد قال سيد الشعراء حسان بن ثابت رضي الله عنه :

إذا ما ترعرع فينا الغـــــــلام فما أن يقال له من هـــوه
إذا لم يسد قبـــل شـــــد الإزار فذلك فينا الذي لا هـــوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول وطورا هوه

وقال غيره :

وإني وإن كنت صغير السن وإن في العين نبوا عنـــي
فإن شيطاني أمير الـجـــن يذهب بي في الشعر كل فن

ويحكى عن الفرزدق أنه أتاه رجل فقال : إني قلت شعرا فانظره، قال : أنشد فقال :

ومنهم عمر المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ثم قال : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوير والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوير جاد شعره وصح كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك الهوير في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت،

ومن هذا الباب قالوا في الشعر أنه رقي الشيطان، وفيه يقول جرير(9) في قضيته مع سيدنا عمر بن عبد العزيز(10) منشدا بعد أن قال رأيت أميرا يعطي الفقراء ويمنع الشعراء من جملة أبيات قوله :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

كما يقال أن الشاعر إذا وجه همته لأمر وصمم عليه فإنه يقع طبق ما يقول، وقد جرب ذلك في أشياخ الملحون، ويحكي عنهم العامة في ذلك قضايا غريبة، فمنهم من أنشأ قصيدة بشر فيها جاحده أو حاسده أو ظالمه بالهلاك فعجل لهم ذلك في أمد قريب، ومنهم من أنشأها في إيقاف حركة دولاب ناعورة فوقفت، ونحو تلك مما يقال أنه من الهمة أو من الجن، ولربما كان هذا من الخرافات التي لا حقيقة لها أو من شبه الكهانة.

وعلى كل حال فإن للشعر تأثيرا في النفوس اللطيفة، ويقع الملائم للطبع منه كل موقع، وعلى قدر ذوق كل إنسان يتحرك بلباله بما يذوقه من حلاوة المعاني المستودعة في تلك الأوزان، فلا عجب إن انفعلت له الأرواح، وتحركت أو سكنت به الأشباح، أو طويت به الأرض ونحو ذلك، ولم يزل الشعر العربي معدنا لاستخراج المعارف والفنون التي تدل على ما للعرب من لطائف المعلومات، مع ما كانوا عليه في الجيل الماضي من عدم الترفه، واقتصارهم على ما لديهم مما اعتادوه في حواضرهم وبواديهم، مما لا نسبة له في جانب حضارة غيرهم المزخرفة، من غير أن يسبقهم غيرهم في جل ذلك، فمداركهم في ذلك الجيل راقية، ومعارفهم إلى الآن باقية، وما ضاع منها قبل توثيق ما روي عنهم الكثير.

ولنذكر هنا بعض العلوم التي بها للعرب إلمام تام، وحصل بها النفع العام، زيادة على العلوم التي استنبطت من كلامهم، ووضعت لها قوانين فنية يرجع في تحقيق تلك اللغة إليها، وقد أشرنا سابقا إلى علمين منها وهما النحو والعروض، فبمراعاة قواعد النحو يكون الكلام عربيا، وبمراعاة قواعد العروض يكون الكلام شعرا، وما خرج عن ذلك فليس من قول العرب في شيء، ولم يقع في اللغة العربية خلل في اللفظ والنطق إلا بمداخلة العجمة وأهلها بينهم، وأشبه شيء بالعربية لغة غير البربر من اللغات الأجنبية، وهي اللغات الدارجة بين المسلمين شرقا وغربا، ولذلك إذا روعي فيها قواعد النحو وافقت العربية تماما، ولم تخالفها إلا في أقل القليل، مما داخله النعت اللغوي الشبيه بالسريانية في الإختصار.

---

(9) جرير بن عطية بن حديفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أشعر أهل عصره، من تميم، ولد باليمامة عام 28هـ، وبها توفي عام 110هـ، قضى طيلة عمره يكافح شعراء جيله ويساجلهم، وكان هجاءا مرا، فلم يقف أمامه في هذا الصدد سوى الفرزدق والأخطل.
أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 102، وفي شرح شواهد المغني للسيوطي ص 16، وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 179، وفي خزانة الأدب للبغدادي ج 1 ص 36، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 119، وخصصه جميل سلطان بتأليف سماه : جرير قصة حياته ودراسة أشعاره.

(10) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أحد ملوك الدولة الأموية، عرف بالعدل والإستقامة والنزاهة والزهد والورع، ولهذا لقب بخامس الخلفاء الراشدين، تشبيها له بهم، ولد بالمدينة المنورة عام 61هـ، وبويع له بالخلافة عام 99هـ، فلم يمكث فيها سوى سنتين ونصف، حيث أدركته المنية بدير سمعان من أرض المعرة عام 101هـ، أنظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 76، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 105، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 128، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 7 ص 475، وخصصه ابن الجوزي بتأليف سماه : سيرة عمر بن عبد العزيز.

ويسهل كل السهولة على من عرف لغة العرب فهم اللغات الدارجة وإن اختلفت لهجة أهلها. كما يصعب غالبا على من عرف لهجة لغة دارجة فهم لغة دارجة أخرى. ولذلك يجد من يتعلم اللغة الدارجة في بلد صعوبة في فهمه للهجة أخرى، فالأولى لمن يريد أن يفهم الجل من اللغات الدارجة تعلمه للغة العرب الأصلية. لأن جميعها تجمعه الكتابة بها. وقل ما كتبت اللغة الدارجة على ما هي عليه، ولهذا كانت جل الكتب المتداولة إنما هي باللغة العربية، فيفهمها جل العوام، وسائر الخصوص من غير إبهام ولا إيهام.

وحيث دخلت العجمة في الكلام العربي، واعتاد الناس اللغة الدارجة، فقد قيض الحق سبحانه لهذه اللغة من يحفظها من الإندراس، وذلك بتوفيق من استنبط قواعدها التي كانت عليها فطرة العرب في جل علوم العربية، ويعد من عرف هذه القواعد من علماء الفن الذي حصل قواعده، فتكون له المزية على جاهل ذلك الفن. فإن حصل قواعد علوم العرب التي هي علوم الأدب عد أديبا حقيقيا. وبالأخص إذا كان يطبق تلك القواعد على مواضيعها، فإنه يوجد في الناس من يعرف مثلا العروض ولا يعرف النطق بالشعر، ولا تساعده القريحة على نظمه، وربما كان من لا يحسن قواعده ينطق به ويشعر لسجية فيه جاءت إليه بمخالطة الشعراء، فسرق طبعه من طبعهم، "والطباع تسرق الطباع" ولهذا يسهل كثيرا تعمل اللغة بمخالطة أهلها، ويصير مخالط الشاعر شاعرا، وكثيرا ما تحصل الملكة فيه لمتعاطيه، بحيث لا ينطق فيه بكسر وزن بزيادة أو نقصان، وذلك في بعض الأشخاص دون بعض، ولربما صعب على الشاعر الفحل قرضه، فلا تساعده سجيته في بعض الأوقات، وقد حكي عن الفرزدق قوله لنتف لحيته في بعض الأحيان أهون عليه من قول شطر بيت واحد، وهكذا في غير الشعر من الكلام، والغالب على العارف بفنون الأدب الإتقان في إنشائه وإنشاده نظما ونثرا، وقد يبرع في فن النثر دون الشعر وبالعكس.

علم القرض

فمن علوم العربية علم القرض، وهو علم يعرف به كيفية النظم وترتيبه، ومعرفة جيده من رديه، وهذا الفن خاص بنقد الشعر، لصعوبة الشعر على بعض الأشخاص وغلق الأبواب فيه عليهم، كما قيل :

الشعر صعب وطويل سلمـه   إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه   يريد أن يعربه فيعجـمـــــه

وكثير ممن ترامى على الشعر بلا استعداد، يكثر عليه الإنتقاد، ولهذا لا ينبغي للشاعر الأديب أن يعجل بإظهار سوانحه إلا بعد التنقيح، وفي ذلك قيل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مهذب قالوا أتيت وساوسا تهذي بها

وقد كان شعراء العرب يبالغون في ذلك، فلا يعرضون ما جادت به قرائحهم إلا بعد التهذيب التام، حتى كان من جملتها القصائد الدهريات، وغير ذلك، كالمعلقات(11) والمجمهرات(12) والمنتقيات والمذهبات(13) والمشوبات والملحمات مما هو مشهور. وهذا التهذيب المطلوب هو في حق من يزاحم الشعراء ويريد أن يعد نفسه من العالمين بالشعر وقرضه، أما المبتدي فيطلب منه أن ينظم كيف ما تأتى له، ولا يستحي من عرض ذلك على العارفين بالفن ليبصروه بما خفي عنه فيه، ولو كان يراهم يسخرون منه في ابتداء أمره، فإنه بانتقادهم عليه وتوجيه نظره لمحل الإنتقاد ينبغ فيهم، وإلا بقي غريقا في الجهل به، ولهذا الفن تأثير في نفس من يريد النظم بإرشاده إلى أسهل الطرق في قول الشعر والقدرة على نظمه، وقد تكلم عليه جل علماء الأدب، وأفرد بخصوص الذكر في عداد العلوم الأدبية، وقد نظمت فيه أرجوزة سميتها (الدرة المكنونة)(14) مفيدة فيه للغاية، وهذا العلم وإن كان يرجع للشعر فهو نوع خاص دون العروض والقافية.

علم القوافي

ومن علوم العربية علم القوافي، وهو من تتمة علم العروض، وهو علم يبحث فيه عن تناسب وعيوب أواخر الأبيات الشعرية، ومعنى القافية في نظر محققي هذا الفن التابعة لما قبلها، فالبيت الواحد ليس بشعر، ولذلك لا يوجد في القرآن الكريم ولا في كلام الرسول أكثر من بيت واحد متزنا. وخروج المتزن من ذلك بالقافية أحسن من خروجه بالقصد المذكور في حد الشعر عندهم، وهو ما قصد نظمه فارتبط لمعنى وقافية، لئلا يرد وقوع ما لم يقصد في القرآن وكلام الرسول عليه السلام،

---

(11) المعلقات : هي القصائد السبع الطوال التي سمتها العرب السموط، لأنها مختزن حكمتهم، ومستقر بلاغتهم، وغاية ما وصل إليه الخيال من شاعريتهم، وقد قال بعض الرواة أنهم من فرط شغفهم بهذه القصائد وشدة إكبارهم لها كتبوها بماء الذهب على القباطي وعلقوها على الكعبة، الأولى من هذه القصائد لامرئ القيس، والثانية لطرفة بن العبد البكري، والثالثة لزهير بن أبي سلمى المزني، والرابعة للبيد بن ربيعة، والخامسة لعمرو بن كلثوم التغلبي، والسادسة لعنترة بن شداد العبسي، والسابعة للحارث بن حازة اليشكري، أنظر مجموع مهمات المتون ص 783-822، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 6 ص 543-581.

(12) المجمهرات : هي سبع قصائد من أشعار العرب في الجاهلية، في الطبقة الثانية بعد المعلقات السبع.

(13) المذهبات : هي سبع قصائد من أشعار العرب في عهد الجاهلية، قالها أهل الطبقة الثانية، وهي تلي المعلقات، الأولى لحسان بن ثابت شاعر رسول ا (ﷺ) والثانية لعبد ا بن رواحة، والثالثة لمالك بن عجلان، والرابعة لقيس بن الحطيم الأوسي، والخامسة لأحيحة بن الجلاح، والسادسة لأبي قيس بن الأسلت، والسابعة لعمرو بن امرئ القيس، أنظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 136.

(14) أنظر ج 1 ص 114 من هذا المؤلف.

وقد بسطت الكلام على هذا المعنى في تأليف سميته "منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي"(15) وهو تأليف طويل الذيل، أرجو أن يكون نافعا لقارئه بدرسه بدون شيخ لطالب هذا العلم والله الموفق.

علم الإنشاء

ومن علوم العربية علم الإنشاء، وهو علم يعرف به كيفية إنشاء الكلام المنثور بعبارات حسنة لائقة بالمقام، وهو ضد الشعر، فلا يستعمل فيه الشعر إلا على وجه التبع، وقد يكون الشخص شاعرا ولا يكون منشئا وبالعكس، وقد تكون له ملكة في الشعر والإنشاء، وهذا الفن لابد من معرفته لمن يتعاطى خطة الكتابة، وإلا عد نساخا أو مساخا أو سلاخا.

علم الخط

وقد تطلق الكتابة على علم الخط والرسم، وهو علم يعرف به أحوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها رسما. وقد كان الخط قديما ذا حروف منفصلة في لغة حمير، ثم استنبط منه عرب طيء خطا ذا اتصال وانفصال بدون نقط ولا إعجام، سموه "بالجزم" كما كان الأول يسمى "مسندا" وكانوا يمنعون العامة من تعلمه، وبالأخص النساء، وقد مر أعرابي على شيخ يعلم بنتا الخط فقال : واعجبا أفعى وتسقى سما.

ولم ينتشر تعلم الخط في العرب إلا بنحو مائة سنة قبل الإسلام، فحفظ به مآثرهم، وضاعت مآثر من قبلهم لعدم من يعرف خطهم الخاص بهم، لأجل حفظ أسرارهم وعدم اطلاع العامة عليها، وهكذا كل خط اختص به قوم لا ينتفع بما اشتمل عليه إلا من عرفه، كالخط الرومي فلا ينتفع به إلا من عرفه وعرف ما تضمنته كلماته، وكالقلم الفاسي فقد كان عارفوه يبخلون بتعليمه للعامة، فكانوا يكتبون به في رسوم الشركات وغيرها، ويؤرخون به المكاتب حرصا منهم على حفظها من اطلاع العامة على ذلك.

وقد استعملت شرحا على أبيات بعض العلماء الفاسيين فيه سميته "إيقاظ المتعلم والناسي، في صفة أشكال القلم الفاسي"(16) وهو مفيد في بابه، وقد ترجمه للغة الفرنساوية بعض الأفاضل، وقد تنوع الخط على أنواع، وأهمها الخط الكوفي الذي هو الأصل في الخط المشرقي والمغربي، وقد كاد أن لا يقرأ أهل خط خطا آخر إلا بعد الممارسة، ومما يحكى عن بعض المشارقة أنه عثر على تأليف بالغ في مدحه لحاضريه ولم يجد ما يعيبه به إلا من حيثية كونه بخط مغربي.

---

(15) أنظر ج 1 ص 92 من هذا المؤلف.
(16) أنظر ج 1 ص 84 من هذا المؤلف.

ومن أدب هذا الفن أن يعتني من يكتب بتحسين خطه ولو كتب مضمنه لنفسه، فإنه إذا لم يتقنه قد تصعب عليه قراءته عند مراجعته في بعض الأحوال، كما وقع ذلك للشيخ ابن عرفة (17) فإنه لما طعن في السن لم ينتفع برقة خطه، ولا بدقة نظره، حيث كان يصعب عليه مراجعة كلامه المكتوب، وحكى العلامة المقري(18) رحمه الله في كتابه "نفح الطيب" عن بعض أهل العلم ممن كان يعاب عليه قبح خطه، ويدافع عن نفسه بأنه هناك من الخطوط ما هو أقبح من خطه، وكان يبحث عن ذلك إلى أن عثر على مكتوب بخط كاد أن لا يقرأ لرداءته، ففرح من أجل ذلك واشتراه بثمن غال ليستدل بذلك على العائبين عليه، فأتاهم به، وبعد عناء شديد في الإستطلاع على اسم كاتبه وجد نفسه هو الكتاب له أيام صباه، فاستغرقوا ضحكا عليه.

وأحسن طريقة في تعلم الخط الحسن أن يتلقى الكتابة ممن خطه حسن من أول مرة، لأنه يصعب كل الصعوبة أن يحسن خط من تعلم الخط الرديء في مبادئ التعليم، وما يقال من الاشتغال بتقويم الخط وتحسينه ليس من شأنه أكابر العلماء، فهو غلط، لأن الهمة وإن كانت مصروفة لروح الألفاظ فإن التعليم الابتدائي لا ينافيها، لأن تحسينه من الصناعة، ورحم الله شخصا صنع شيئا فأتقنه، وقد قالوا الخط الحسن يزيد الحق وضوحا، وأركانه أربعة منظومة في قول من قال :

ربع الكتابة في اسوداد مدادها	والربع منها صنعة الكتاب
والربع في قلم تساوى بـــربـه	ثم الكويغد رابع الأسبـــاب

علم اللغة

ومن علوم العربية علم اللغة. وهو علم يعرف به أبنية الكلم ومعرفة معانيها، ليعبر بذلك على المقصود والإفصاح عنه بها بإفراد وتركيب مثل غيرها من اللغات، ويستعان على الإطلاع

(17) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أحد أكابر فقهاء المالكية في عصره، ولد بتونس عام 716 هـ، وبها توفي في 20 جمادى الثانية عام 803هـ، من مصنفاته : المختصر الكبير، في الفقه، ومختصر الفرائض للحوفي، والمختصر الشامل، في علم التوحيد، والحدود الفقهية، والمبسوط، في علم الفقه، في سبعة مجلدات، والطرق الواضحة في عمل المناصحة، وغير ذلك من التآليف الأخرى. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 227 رقم الترجمة 817، وفي نيل الابتهاج للتنبكتي ص 274، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 293 رقم الترجمة 656، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 9 ص 240-242، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص 243، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 43.

(18) أحمد بن محمد بن يحيى القرشي التلمساني الشهير بالمقري، مؤرخ، أديب، فقيه، حافظ، من مصنفاته : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، في أربع مجلدات، حول تاريخ الأندلس السياسي والأدبي، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، في أربعة أجزاء، وروضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، وعرف النشق في أخبار دمشق، وغيرهم من تآليفه الكثيرة. وتوفي رحمه ا في شهر جمادى الأخيرة عام 1041هـ بمصر، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 300 رقم الترجمة 1162هـ، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 328 رقم الترجمة 734، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 574 رقم الترجمة 331، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 302-311، وفي البستان لابن مريم ص 155، وفي تعريف الخلف للحفناوي ج 1 ص 44، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 237.

على لغة العرب بمراجعة كتب اللغة المؤلفة فيها، مع معرفة اصطلاح كل كتاب منها، وإلا أسرع الخطأ لمن لا يعرف ذلك، ولابد للأديب أن يكون له نصيب وافر من اللغة وفقهها.

علم التصريف

ومن علومها علم التصريف، وهو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم وتحويلها لأبنية مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، ولا يكون في الحرف وشبهه البتة، وبه تحصل للمتكلم الملكة على التصريف في جل الألفاظ اللغوية فتصير تحت سلطته.

علم الاشتقاق

ومن علومها علم الإشتقاق، وهو علم يعرف به أصول الكلام وفروعه، وهو من ألطف العلوم، لأنه تحصل به ملكة للشخص في معرفة الأصل الذي يشتق منه وما لا يشتق، وقد اندرج عند بعضهم في العلم قبله.

علم البيان

ومن علومها علم البيان، وهم إسم جامع لكل ما كشف على المعنى، ويشمل ثلاثة فنون، الأول علم البيان في الإصطلاح الخاص، وهو علم بأصول يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الوضوح في الدلالة على ذلك المعنى، وهو محصور في التشبيه والمجاز والكناية.

علم المعاني

الثاني علم المعاني، وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطلق اللفظ بمقتضى الحال، وفائدته فهم الخطاب وإنشاء الجواب بحسب المقاصد والأغراض، جاريا على قوانين اللغة في التركيب.

علم البديع

الثالث علم البديع، وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام وتنميقه بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، وينقسم إلى بديع معنوي وإلى بديع لفظي، وينبغي أن يعتنى فيه بالمعاني ومراعاتها أكثر من الإعتناء بالألفاظ، لأنها كالأصداف، والمعاني دررها، وشتان ما بين الدرر والأصداف.

علم التجويد

ومن علوم الأدب علم التجويد على بعض الآراء، وهو علم يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها وإعطائها حقها في النطق كما كانت تنطق العرب بكلامها، فيعم علم القراءات، لأن القرآن من كلام العرب.

علم الوضع

ومنها علم الوضع على بعض الآراء أيضا، وعرفوه بأنه تعيين الشيء بإزاء المعنى، بحيث متى سمع أو أحس فهم منه المعنى الموضوع هو له، وعرف أيضا بأنه جعل اللفظ بإزاء المعنى، واختلفوا في واضع اللغة مطلقا، وفي نشأتها، فقيل توقيفية، ولا شك أنها بإلهام من الحق ولطف منه بعباده، فإنه من الألطاف الإلاهية حدوث الأوضاع اللغوية ليعبر بها عما في الضمير، وقد جاءت اللغات تدريجيا، والصحيح أنه لم يعرف أول من نطق بالعربية، وكانت اللغة كما قيل واحدة قبل تفرق بني آدم في أنحاء الأرض، ثم اختلفت لهجاتهم لاختلاف طبائع الأقاليم القاضية بوجود تفاوت في النطق واللون والعقل وغير ذلك.

وقد كانت لغة قبائل العرب العاربة من عاد وثمود وغيرهما العربية القديمة، إلى أن جاء يعرب بن قحطان(19) فاعتدل لسانه من السريانية إلى العربية، ولذلك يقال أنه أول من تكلم بالعربية من أحفاد نوح عليه السلام، وقد كان أهل كل قبيلة يتكلمون بالسريانية، ونشأت عن ذلك عربية حمير، إلى أن انتقل منهم إلى الحجاز جرهم(20) الثانية، فتعلم منهم إسماعيل عليه السلام العربية، وكان قبل ذلك لسانه لسان أبيه إبراهيم عليه السلام عبرانيا، فنشأ على ذلك بنوه، ولهذا يقال لهم العرب المستعربة، ولا ينافي هذا ما روي من أن أول من فتق لسانه بالعربية إسماعيل، لأنه هو أول من تعلمها من أهل اللسان السرياني، ومن ذلك الوقت واللغة العربية في التهذيب والترقي من طور إلى طور حتى بلغت إلى قريش، فهم أفصح العرب، وأفصحهم سيد الكل مولانا رسول الله عليه السلام.

علم التاريخ

ومن علوم الأدب علم التاريخ على بعض الآراء أيضا، وهو من علوم العرب، وهو في الإصطلاح تعيين وقت لينسب إليه أمر متقدم أو متأخر من الحوادث الكونية، وفي مدحه قيل :

ليس بإنسان ولا عاقـــل   من لا يعي التاريخ في صـدره
ومن درى أخبار من قبله   أضاف أعمارا إلى عـمـــره

---

(19) يعرب بن قحطان بن عابر، أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه العرب العاربة، قال وهب بن منبه : يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدح ووصف وقص وشبب، إهـ ... ولي إمارة صنعاء باليمن بعد موت والده، فغزا الأشوريين بالعراق، وحارب العمالقة ببلاد الحجاز. أنظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون ج 2 ص 47، وفي السيرة الحلبية ج 1 ص 23، وفي التنبيه والإشراف للمسعودي ص 70، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 192.

(20) جرهم بن قحطان، جد جاهلي يماني قديم، كان له ولبنيه ملك الحجاز، ولما بني البيت الحرام بمكة كان لهم أمره، إلى أن غلبتهم عليه خزاعة، فهاجروا عائدين إلى اليمن، أنظر ترجمته في نهاية الأرب للقلقشندي ص 178، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 118.

وليس هذا العلم مختصا بالعرب، وهو يعتبر عندهم بظهور الهلال، فكانت عندهم السنة قمرية كما عند غيرهم شمسية.

وأول من أمر بتاريخ المكاتب والرسوم في اللغة العربية سيدنا عمر رضي الله عنه، ثم تفنن الأدباء فيه وجعلوا منه التاريخ الحرفي العددي، وهو عبارة عن الإتيان بكلام يتضمن حادثة أو حالا بحيث لو جمعت أحرف الكلمات التي تضمنت ذلك بحساب الجمل العددي كان مجموعها تاريخ السنة المطلوبة، والمراد بالجمل العددي ما عين للحروف من العدد الخاص بكل واحد منها في حساب (أبجد) في الجمل الكبير، وفي حساب (أيقش) في الجمل الصغير، وقسموا هذا التاريخ إلى محكم ومستوفي ومستثنى ومذيل ومتوج ومخصص ومطلق، ولكل حد محدود، والغالب كونه في الشعر، وهو مما يدل على اقتدار الشاعر الذي جاء به في شعره، ويروق في النظر بقدر رقة معناه.

علم المحاضرات

ومن علوم الأدب علم المحاضرات، وهو علم تحصل به ملكة في إيراد الكلام المناسب للحالة الراهنة بين الحاضرين للمذاكرة ونحوها، كمعرفة قصة أو شعر أو سجع ليلقى في مجلس التخاطب لمناسبة يقتضيها ولو باستطرادات، وقد جعل بعضهم هذا العلم قسما من علم التاريخ، وبعضهم عكس ذلك، وهذا العلم اتسع فيه المجال الذي يجول في حومته الأدباء، ويتنافسون فيه بإبداء ما لديهم من اللطائف المعبر عنها بينهم بالأدبيات في الإنشاد والإنشاء، ونحو ذلك مما يفعل فعل الصهباء، فتعين الإعتناء به بحفظ كلام الغير، وبكتب ما يلذ في الذوق حالة الإملاء، ليجد الأديب ما يقول، ويجيد في المنقول، وقد قيل :

قيد تقد حكم الأنـــام ... واروي النثار مع النظام
واحفظ تقل ما شئته ... إن الكلام من الكــــــلام

فهذه هي علوم العرب عند من عدها، وإن كان منها ما هو غير مختص بكلامهم التي استنبطت منه، ومنها ما هو من علومهم التي شاركوا فيها غيرهم، مع أنه هناك علوم أخرى من معلوماتهم قد استفادها منهم الأجانب. ولا بأس للأديب أن يخوض فيها ليتسع له الباع في مجال علم الأدب بكمال الإطلاع، فإن الأديب يزداد اعتبارا بين الأدباء والأعلام، على قدر ما يحسنه في هذا المقام، ولذلك يوجد في كلام المنوه بشأنهم تلميحات وتلويحات، واقتباسات من العلوم والفنون والصنايع ما يشفي الغليل، ويبري العليل.

وهذه العلوم قد يندرج بعضها تحت بعض، ولكن لتكثير سواد تعداد الفنون جعلوا كل قسم خاص في موضوعه علما مستقلا يرجع في قضاياه إليه، وحيث انجر الكلام إلى العلوم التي استنبطت من كلام العرب والعلوم الخاصة بهم والعلوم التي استفادوها من غيرهم فلا بأس بذكر بعض من ذلك زيادة على ما تقدم، تنشيطا لمن يحب الخوض في الأدب، فيبادر إلى اقتطاف أزهار كل فن منها، فإن أفنان تلك الفنون يانعة، وأنوار روضات أنوارها ساطعة.

علم الأنساب(21)

فمن ذلك علم الأنساب. وهو علم يتعرف منه أنساب الناس، وهو علم عظيم النفع، حتى أنه ورد (تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم)، وللعرب به مزيد اعتناء، لأنه أحد الأسباب التي ترتبط بها رابطة الألفة والتنافر.

وأعرف الناس به في الصحابة الخليفة الأعظم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فقد كان يبين لسيد الشعراء سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه النسب الشريف المنوط بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في عمود نسب أبيه وأمه عند مهاجاة قريش، حيث قال له : والله يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال : اهجهم ولسان القدس معك، فكانت مكافحته عنه أشد عليهم من وقع السهام في نحورهم وصدورهم، لكونه رضي الله عنه يضع فيهم القول موضعه بلسان الصدق، وقد أجمع الأدباء على أن أنصف بيت قالته العرب قوله رضي الله عنه في الرد على من هجا الرسول عليه السلام وهو :

أتهجوه ولست له بكفء		فشركما لخيركما الفداء

علم الطب

ومن علومهم علم الطب، وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبدان البشر من صحة ومرض ومعالجة ذلك، فكان لجلهم الباع الطويل في هذا الفن بما أنتجته لهم التجربة، حتى تلقاها عنهم المنصفون بأيدي الإمتنان، ولا زالوا يصرحون بذلك على رؤوس الأشهاد.

---

(21) علم الأنساب من جملة العلوم التي عرف بها العلامة سكيرج في نظمه المسمى بالوصية الشافية فقال فيه ما نصه :

معرفة الأنســـــاب		مفخرة الأعـــــراب
توارثوهـا إرثـــــا		من ذكر وأنثـــــى
ففرقوا بين الأصيــــل		وبين ما هو دخيـــل
وهكذا الأشـــــــراف		ممن لهم إنصـــاف
لم يظهروا بالكــــذب		على انتحال النســب
قد ألزموا الأبنـــــاء		أن يعرفوا الآبــــاء
فعرفوا بالامتحـــــان		أن فلانا من فـــلان
يقف عند جــــــــده		في الإنتما لجـــــده

إلى أن قال رحمه ا :

وخارج عن نسبـــه		تحققوا بكــذبــه
فاعرف بأنساب العـرب		تحرز سبائك الذهب
وضمنها نيـــل الأرب		ومنتهاه فـي الأدب

علم التشريح(22)

وكذلك علم التشريح، وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن، وترتيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كل عضو، فلحكماء العرب اطلاع كبير مع كيفية جبر ما انكسر من العظام والداء الباطني من كباد، وهو مرض الكبد ونحو ذلك، ولكن الأجانب تقدموا في هذا العلم مع العلم قبله إلى زماننا تقدما لم يعهد في الأزمنة السالفة، ونتمنى لأبناء وطننا العزيز أن يوجهوا همة الإعتناء إلى التحصيل على هذين الفنين، فإنه لا يوجد في هذه الإيالة الشريفة من الأطباء إلا النادر.

وفي الحقيقة لم يستقل بمنفعة ذلك إلا الأجانب، مع أنه أجل خطة ذات منفعة كبرى، ولم يبق عندنا إلا بعض تجارب العجائز التي لا تصادف محلها إلا في النادر، وفي غالبها الخطر الكبير.

علم البيطرة

وكذلك علم البيطرة وهو علم معالجة أمراض البهائم، وقد كان للعرب فيه اليد الطولى لاعتنائهم بالخيل وتربيتها والمباهاة بها.

علم الزردقة

ويؤثر عن العرب نوع ما في معالجة أمراض الطيور، وهو علم الزردقة، وليس لهم اعتناء تام بأنواع الطيور كما اعتنى بها غيرهم.

---

(22) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم التشريح ضمن نظمه المسمى : الوصية الشافية.

لاشك علم التشريـــح   قد زيد فيه تنقيـــح
فكان علما يعتبـــر   في الناس فضله ظهـــر
موضوعه الأعضـــاء   في ضمنها الأحشـــاء
وما حواه الجســـم   بما اقتضاه العلـــم
وما به قد ركبـــا   فكان جسما معجبـــا
من رأسه إلى القـــدم   بعد الوجود للعـــدم
من لحمه ودمـــه   وشحمه وعظمـــه
وكل ما قد اشتمـــل   عليه مما قد كمـــل
كسائر المفاصـــل   من خارج وداخـــل

إلى أن قال رحمه ا :

صاحبه جـــزار   سما له المقـــدار
بل إنه حكيـــم   خلقه عظيـــم
وإن له قلب قســـا   فإنه ينفي الأســـى

علم الفراسة

ومنها علم الفراسة، وهو علم يعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من ألوان وأشكال وأعضاء، ونحو ذلك مما يستدلون به من الخلق الظاهري على الخلق الباطني، وغالبه المصادفة في ذلك من غير اعتماد عليه، وله أقسام ترجع إليه.

علم القيافة(23)

ومنها علم القيافة، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الإستدلال بهيآت أعضاء الشخصين إلى المشاركة والاتحاد في النسب والولادة وسائر أحوالهما، وقد اختلف العلماء في باب الإستلحاق هل هي خاصة ببني مدلج من العرب، لما أعطوه من معرفة النسب بالنظر، وعليه فلا تقبل من غيرهم، لأن غيرهم ليست له تلك القوة، أو هي غير خاصة بهم فيعمل شرعا بها إذا وجد العارف بها، وقد ذهب في العمليات الفاسية على عدم العمل بها لعدم وجود العارف بها فقال :

وعمل القافة لا تراعي   في باب الاستلحاق لامتناع

والقافة جمع قائف كباعة جمع بائع، وقد ألحقوا هذا الفن بالفراسة، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فقال : يا عائشة ألم تري ابن مجزز المدلجي دخل علي فرأى أسامة وزيدا وعليهما قطيفة، قد غطيا رأسهما وبدت أقدامهما، فقال إن هذه الأقدام بعضها من بعض، قال أبو داوود وكان أسامة أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض شديد البياض.

علم العيافة

ومنها علم العيافة والزجر، وهو علم يبحث فيه عن كيفية الإستدلال بحيوانات ماشية أو طائرة أو جمادات، من حيث حركاتها أو أصواتها أو أسمائها ونحو ذلك على أمور غيبية وقعت أو تقع، وكان هذا العلم شائعا في بني لهب من العرب كما قال شاعرهم :

سألت أخا لهب ليزجر زجرة   وقد رد علم العالمين إلى لهب

وقال قائلهم :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيـا   مقالة لهبي إذا الطير مرت

---

(23) قال العلامة سكيرج في التعريف بفن القيافة في نظمه : الوصية الشافية ما نصه :

علم القيافة عجيب   صاحبه كاد يصيـ ـب
لكنه قد فقـ ـ ـدا   والآن لن يعتمـ ـ ـدا
فما عليه عمـ ـل   لأنه محـ ـتـ ـمـ ـ ـ ـل
والحكم بالمحتمـ ـل   لم يرضه الحق الجلي

وقد ورد النهي بالتطير في مثل هذه الأمور، وكان (ﷺ) يحب الفأل الحسن.

ولا يختص هذا العلم ببني لهب، حتى أن العجم ليتطيرون بالهامة والصدا وموكى ونحوها، ومن هذا الفن فنون أخرى كالضرب بالحصى، ولكن الغالب أنها لا تتعدى أربابها، ولا اعتماد على شيء من ذلك عند الموحد، ولقد أجاد من قال :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا　　　ولا زاجرات الطير ما الله صانع

علم الريافة

ومنها علم الريافة، وهو علم استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده، فيعرف بعده وقربه بشم التراب أو بالنبات فيه، أو بحركة حيوان وجد فيه، وهو من فروع الفراسة.

علم التنجيم(24)

ومنها علم التنجيم وأحكام النجوم، وهذان العلمان لم يكونا خاصين بالعرب، بل غيرهم لهم الحظ الأوفر منهما، ولعلهما جاءا للعرب من الجهة التي جاءهم علم السحر منها، لأن ذلك موصل للتجسس على الغيب، المتهم فيه متعاطيه مع سوء الطوية وفساد الإعتقاد بنسبة التأثير لغير الله، ولقد أجاد القائل :

خبرا عني المنجم أنـــــي　　　كافر بالذي اقتضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كا　　　ن قضاء من المهيمن لازب

وقد يكون الإطلاع على بعض جزئيات هذين الفنين غير مذموم، بل ربما أمر الشارع بمعرفة ما لا تجسس فيه على الغيب، وإلا فهو من قبيل المذموم مثل الكهانة والعرافة، ونحوهما مما يرجع للإستطلاع على الغيب، وجل ذلك تحصل نتيجته عندهم بترويض النفس وتغذية الروح بما يقوي القوة المفكرة حتى يكاد أن يلتحق صاحبها بعالم آخر، وقد أجاد من خاطب المنجمين بقوله :

---

(24) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم التنجيم ضمن نظمه : الوصية الشافية

وعلم أحكام النجوم　　　عليه أوهام تحـ ـ ـوم

ليس له من أصـل　　　من بين أهل الفضـ ـل

وغيرهم قالوا بـه　　　وانتصروا لحزبـ ـ ـه

دليلهم قول الكريـم　　　إبراهيم إني سقيـ ـ ـم

والحق أن قولـ ـه　　　به تحق الصولـ ـ ـ ـه

وهو الدليل القاطع　　　عليه نور ساطـ ـ ـ ـع

فإنه ما اعتقـ ـدا　　　حكم النجوم ابـ ـ ـ ـدا

إلى أن قال فيه :

وكم به من معتن　　　لم يرا غير محـ ـ ـ ـن

دعه ولا تعبأ به　　　إن رمت كشف خطبه

أحساب النجوم أحلتمـونـــا على علم أدق من الهبـــاء
علوم الأرض لم تصلوا إليها فكيف بكم إلى علم السماء

علم الإختلاج

ومنها علم الإختلاج، وهو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه، وهو من فروع الفراسة، ولكن لا يعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله.

علم تعبير الرؤيا(25)

ومنها علم تعبير الرؤيا، وهو علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية، لينتقل من الأولى إلى الثانية، وليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج، أو على الأحوال الخارجية في الآفاق، وهو من أقسام الفراسة، ومن لطائف بعض الأدباء قوله :

إلى الله أشكو أنني كل ليلـة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهـــام
فإن كان شرا فهو لا بد واقع وإن كان خيرا فهو أضغاث أحلام

علم الحساب

ومنها علم الحساب، وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة، وهو علم جليل القدر كبير المنفعة كما قيل :

إن علم الحساب علم رفـيــــع فبه يشتري الفتى ويبيــع
لم يضع بالحساب للشخص شيء وألوف بلا حساب تضيع

---

(25) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم تعبير الرؤيا، في نظمه : الوصية الشافية.

أعظم بعلم التعبير من بين أهل التنوير
فإنه علم جليـ ـل لم يدره إلا القليـ ـل
قيل وإن الرؤيـ ـا من ميت وأحيـ ـ ـا
على جناح طائـ ـر ما لم يعبر عابـ ـ ـ ر
صورها الخياليـ ـه للأنفس الجماليـ ـة
تنقلها بالأخـ ـ رى من صورة لأخـ ـرى
وهكذا الجلاليـ ـه عند النفوس العالـ ـية
ينظر فيها العابـ ـر بنافذ المـ ـنـ ـاظـ ـر
فلا تقـ ـ ـص إلا على محب جـ ـ ـلا
خشية أن تعبـ ـرا بما يكون منكـ ـرا

إلى آخر النظم.

وهو من العلوم القديمة، وقد داخله من التحسين عند الأجانب ما يغبطون فيه، وصار عندهم من الأمور الضرورية معرفتها كالكتابة على اختلاف طبقات الرجال والنساء، وتحته أنواع كثيرة، وتتوقف عليه في تحقيق العملية أمور كبيرة.

وقد ذكر بعض أهل الخبرة أن أول الطرق التي استعملها الإنسان في الحساب هي الأصابع، ولكن حيث كانت لا تكفي في تمييز المراتب استعملوا لضبط المعدودات صغار الحصى وغيرها، ثم أحدثت أنواع الأرقام الدالة على المراتب من الآحاد وغيرها، بعد اعتبار عقد الأصابع عند قوم في ذلك دون قوم.

ولذلك كان الحساب(26) بعقد الأصابع المشهور في البلاد الحجازية والهند محصورا لا يتجاوز تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة آلاف، بخلاف الأرقام فهي بحسب المراتب لا تتناهى، وقد تفنن الأدباء في الإشارة إلى صور الأشكال من اليد وغيرها بما هو معروف بينهم، وجاء في الحديث الشريف : فتح من ردم ياجوج وماجوج هكذا وعقد تسعين، وقال بعض الأدباء يخاطب بخيلا :

إن رمت ما في يديك مجتزيا   أو جئت أشكو إليك ضيق يدي
عقدت لي بالألوف أربعـــــة   منقوصة سبعة من الــعـــــــدد

يعني بذلك شد يديه بضم رؤوس الأصابع إلى الكف ضما محكما، ووضع الإبهام على الأصابع بحيث لا يحصل فيها أدنى انفراج.

فهذا ما سنح لنا ذكره من العلوم التي تزاد على ما حصروه من علوم الأدب، وهناك علوم أخرى تركنا ذكرها في هذا المحل خشية الملل والسئامة، وقد نظمت لامية اشتملت على علوم نافعة سميتها : نفع العموم ببعض العلوم، تناهز مائتي بيت مطلعها :

---

(26) قال العلامة سكيرج في التعريف بعلم الحساب ضمن منظومته : الوصية الشافية

علم الحساب نافـــع   للمشتري والبائـــــــع
فهو في المعامـــلات   به بيان الواجبـــــــات
تدرى به الأعـــــداد   تقل أو تـــــــــــزداد
وقيل أن الواحـــــدا   ليس يعد عـــــــــددا
والحق أنه عــــــدد   من طرفيه قـــــــد ورد
فهو نصف اثنيـــــن   ومجمع النصفيـــــــن
كم علم احتاج إليـــه   في عمليات لديـــــــه
لابد منه للغـنــــي   وللفقير المعتنـــــــي
كم ضاع حق دونـــه   في الحب والموزونـــــه

إلى أن قال رحمه ا :

فمن تعود الحســاب   لم ينطق إلا بالصـــواب
وفضله قد عرفـــا   من قول ربي وكفـــى

خذ العلوم وإن كسلت عن عمل	فالعلم من أكمل الأوصاف في الرجل
لا يستوي عالم وجاهـل أبـــدا	ولو بلا عمل أحرى مـــع الـعـمــــل

وأرجو إتمام شرحها لينتفع بها الطلبة، فبقدر اتساع عارضة الأديب في الفنون، يعظم قدره بين العيون، سيما إذا كانت له سجية مطاوعة له على الغرض، ولم يهن نفسه بمدح الناس لغرض، أو ذمهم لأمر له عرض، فإن العرب لم تتخذ الشعر حرفة، وأما يصنعه أحدهم فكاهة أو مكافأة لا يستطيع أن يؤدي حقها إلا بالشكر، ونحو ذلك من تخليد المآثر وحماية العشيرة، والمدافعة عن جنابها، وتخويف شاعر غيرهم من القبائل، فلا يقدم على الحط من قدرهم خوفا من شاعرهم، فلما استلذ الناس المدح وبذلوا في اكتسابه النفس والنفيس، وجر حبل الطمع نفوس الشعراء إلى امتداح من يستحق ومن لا يستحق، بارت سلعته، وكسد سوقه، واطمأنت بالشعراء دار الذلة، إلا من وقر نفسه وقارها، وعرف لها مقدارها، فلم يقف بنفسه موقف الهوان، وقد قال بعض الشعراء في حكاية واقعة قبل هذا الزمان :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة	باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجــــى	منه النوال ولا مليح يعشـــق

غير أنه لا زالت النفوس المهذبة تعتبر قدره، وبالأخص سادات الملوك وسراة الأمراء، وأعيان الأعيان والفضلاء، وهم أحق الناس بالنظر للشعراء، بعيون التجلة والإعظام والإكرام، كما تعتبر ذلك الدول المتمدنة، فإن الشعراء عندهم في مكان مكين من الإعتبار، وذلك لانتشار العلم بين طبقاتها، وإعطاء الشخص حقه لديهم على قدر ما يحسنه، ولا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذووه.

وإلى الآن لازال يكبر بين عيني ما رأيته من عظيم اعتناء وزير المستعمرات الفرنسية المسيو دومرك، حين اجتمعت به بباريز سنة 1916م، فإنه ناولني نسخة من كتاب "تحية العلم"، بعد أن كتب عليه بخط يده وقال ما ملخص ترجمته : قد اجتمعت الدول على تعظيم العلماء وبالأخص الشعراء منهم، وبصفة كونك عالما وشاعرا فإني أقدم لك هذا الكتاب تذكرة لاجتماعي بكم في هذا اليوم المشهود، ولا يخفى أن مثل هذا الإعتناء مما تزداد به النفوس إقبالا على التنافس في الوصول إلى الغاية المقصودة، والتحصيل على نتائج المساعي المحمودة.

وإني لأرى مستقبلا زاهرا لهذه الإيالة السعيدة، بوجود سيد المعتنين برعيته، مولانا الإمام أبي يعقوب مولانا يوسف أدام الله سعادته، فإن له كمال اعتناء في ذلك، يمد ساعد المساعدة في إدخال طريقة التحسين في المدارس وغيرها، فحيي ما كان دارسا من علوم العرب، ونفق ما كان كاسدا من سوق الأدب، فما على ذوي النفوس إلا المسارعة لاغتنام فرصة عمارة أسواق العلم ببذل نفيس الأوقات في اقتنائه بين القوم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وفي الختام أشكر السادات الذين بذلوا المجهود، في استنهاض الهمم إلى السلوك مع هذا المسلك الذي يقضي إلى نيل المقصود، وأوجه عبارات الثناء إلى رجال النهضة العلمية الذين نأمل منهم أن يوجهوا اهتمامهم إلى زيادة الإعتناء التام بما هم بصدده في بث روح المعارف في روح المتعلمين، واتخاذ الوسائل فيما يعود بالنفع على طبقات العلماء والمعلمين، وأن يستلفتوا أنظارهم إلى ما أبداه جناب العلامة سيدي محمد الحجوي فيما صدع به من خطابه المعسول، في حسن التعلم والتعليم حتى تحصل النتيجة المطلوبة، ثم أوجه عبارات الشكر للسادة الذين شرفونا بحضورهم في هذا النادي الأرفع على اختلاف طبقاتهم، راجيا أن يحل لديهم ما أمليناه محل القبول، والله المسئول أن يبدل سيئاتنا حسنات، ويصلح الأحوال والنيات، بمنه وكرمه آمين.

وقيد برباط الفتح في يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني عام 1341هـ الموافق للتاسع من دجنبر سنة 1922م وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين، قاله وكتبه عبد ربه أحمد سكيرج شكر الله مسعاه وغفر ذنبه.

تقريظ المسامرة

الحمد لله الذي وفر أسباب العرفان، وحمى دينه من عبث أولي الكيد والخسران، والصلاة والسلام على نبعة الفخر من عدنان، وبعد : فقد تم طبع المسامرة البديعة التي قام بها العالم الفقيه والخطيب المصقع، والأديب البارع صاحب التآليف الجمة، في الأغراض النفيسة المهمة، صديقنا الشيخ أحمد سكيرج قاضي الجديدة بنادي المسامرات برباط الفتح، حضرها عيون الدولة، وسراة الأمة، فوقعت من الجميع الموقع، ولا غرو فالفقيه حاطه الله بحماه، لم يزل يتحفنا من معسول يراعه، وصيب وبله وشراعه، ما يدعنا معجبين بسعة علمه وطول باعه، فلقد جال جولان عارف، وحلق فوق سماء المعارف، وليست هاته بأول حسنة من حسنات القاضي، فله في المواقف العلمية المواقف، وفي الأدبية اللطائف والظرائف، وفي حسن العهد وحماية الذمار، ما يتلى عليه : وربك يخلق ما يشاء ويختار.

معاوية التميمي